(٣٦) خطبة له ﷺ فى الحث على الاستحياء من الله حق الحياء

روى عن عائشة رضي الله عنها، قالت : قال رسول الله ﷺ على المنبر والناس حوله :

« أيُّها النَّاس .. اسْتَحْيُوا مِنَ الله حقَّ الحَيَاء »(١). فقال رجل: يا رسولَ الله .. إنَّا لَنَسْتَحْيِي من الله تعالى . فقال : « مَنْ كانَ مِنكُمْ مُستحيياً فلا يَبِيْتَنَّ ليلةً إلا وأجَلُهُ بينَ عَينيهِ(٢) ، ولْيحفظِ البطنَ وما وَعَى (٣) ، والرَّأسَ ومَا حَوَى(٤)، ولْيذكرِ المَوْتَ والبِلَى(٥)، وليتركْ زينةَ الدُّنيا ».

(رواه الطبرانى فى الأوسط)

فى هذه الخطبة الجامعة ـ كما قرأنا ـ يأمرنا النبى ﷺ بأن نستحيى من الله تعالى حق الحياء ، أى : الحياء فى أسمى معانيه .

فقال رجل من أصحابه : يا رسول الله . . إنا لنستحيى من الله حق الحياء ـ أى : الحياء الحق ـ

---

(١) أى : الحياء الحق ، من إضافة الصفة إلى الموصوف .

(٢) يعنى أنه يتمثل الموت أمامه كأنه يراه وينظر إليه .

(٣) أى : ما جمع من شهوتى البطن والفرج فلا يأكل إلا حلالاً ولا يضع شهوته فى حرام .

(٤) أى : ما اشتمل عليه من حواس . (٥) أى : الفناء والتمزق .

فقال رسول الله ﷺ :

« مَنْ كانَ منكُمْ مُسْتَحْيياً فلا يبيتنَّ ليلةً إلا وأجَلُه بينَ عَينيهِ » . .

أى : يتمثل الموت أمامه كأنه يراه وينظر إليه .

وذلك لأن الموت حق ، ولابد وأن يكون نصب أعيننا حتى نعمل له ولما بعده ألف حساب :

وحسب الإنسان أن يذكر دائماً وأبداً أنه سيموت ، وأنه بعد الموت سيجد نفسه أمام ما قدمت يداه من أعمال :

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾(١) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« أكْثِروا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللذَّاتِ » يعنى : الموت .

(رواه الترمذى وقال : حديث حسن)

وعن بريدة رضي الله عنه ، قال : كان النبى ﷺ يعلِّمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم :

« السَّلامُ عليكُم أَهْلَ الدِّيارِ مِنَ المُؤمنينَ والمُسلمينَ ، وإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُون، أنتُم فَرَطُنَا ونحنُ لكم تَبَعٌ، ونسألُ اللهَ لَنا ولَكُم العَافِيةَ » .

(رواه أحمد، ومسلم، وغيرهما)

---

(١) سورة النبأ : ٤٠ .

وهذا معناه ـ كما قلت آنفاً ـ أن الإنسان العاقل هو الذى يذكر دائماً وأبداً نهايته ، وهو الذى يذكر دائماً وأبداً أنه سيكون فى يوم من الأيام جسداً لا حراك له ، وأنه بعد ذلك سيكون دفين التراب ، وأن التراب هذا سيكون فى القبر : إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النار .

ثم إذا كان الرسول ﷺ يقول بعد ذلك فى الخطبة :

« **ولْيحفظِ البَطْنَ ومَا وَعَى، والرَّأسَ ومَا حَوَى ، ولْيذكرِ الموتَ والبِلَى ، وليتركْ زينةَ الدُّنيا** » .

فإن المراد من هذا ، هو أن يحفظ بطنه وما وعى : من شهوتى البطن والفرج ، فلا يأكل إلا حلالاً :

لأن الحلال هو ما أمر الله تعالى به فى قوله :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾(١) .

وأن يحفظ فرجه ، فلا يضع شهوته إلا فى حلال .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ ، قال :

« **كُتِبَ علَى ابْنِ آدمَ نَصيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذلكَ لا مَحَالَةَ : العينانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ ، والأُذنانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ ، واللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلاَمُ ،**

(١) سورة البقرة : ١٧٢ .

واليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، والرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَى . والقلبُ يَهْوَى ويَتَمنَّى ، ويُصَدِّقُ ذلكَ الفَرْجُ أو يُكَذِّبُهُ» .

(متفق عليه)

وأن يحفظ الرأس وما حوى ، أى : ما اشتمل عليه من حواس . . فلا يستعمل هذه الحواس إلا فيما يرضى الله تعالى .

وأن يذكر الموت والبِلَى . . أى : يذكر الموت وما بعده من الفناء والتمزق .

وأن يترك زينة الدنيا . . أى : لا يغترُّ بما فى الدنيا من مغريات ؛ حتى لا يُشغل بها عن الله تعالى وعن الآخرة التى فيها معادنا .

فلنذكر جميعاً كل هذا ، حتى نستحيى من الله تعالى حق الحياء :

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« **الحَيَاءُ لا يَأتِى إلاَّ بِخَيرٍ** » .

(متفق عليه)

وفى رواية لمسلم : « **الحَيَاءُ خَيرٌ كُلُّه** » أو قال : « **الحَيَاءُ كُلُّه خَيرٌ** » .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال :

« الإيمـانُ بِضْعٌ[1] وسَبْـعُونَ ـ أو بـضعٌ وسِتُّـون ـ شُعْـبَةً[2] ، فأفضلُهـا قـولُ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ ، وأَدْنـاهَا إمَاطَةُ الأذَى[3] عنِ الطَّريق . والحَيَاء شُعْـبَةٌ مِنَ الإيمانِ».

(متفق عليه)

* * *

(١) البضع ـ بكسر الباء ، ويجوز فتحها ـ : هو من الثلاثة إلى العشرة .

(٢) الشعبة : القطعة والخصلة .

(٣) الإماطة : الإزالة . والأذى : ما يؤذى كحجر وشوك وطين ورماد وقذر .

obeikandl.com